Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 5, 2025, 7105

Deanship of Scientific Research

Metaphoric expressions in Jordanian colloquial language; Linguistic approach

Zaid "Muhammad Naji" Yaqoub Al-Kashla*

Department of Arabic Language and Literature, School of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan

Received: 5/3/2024
Revised: 13/4/2024
Accepted: 30/5/2024
Published online: 1/5/2025

* *Corresponding author:*
zaid.shaheen2794@gmail.com

Citation: Al-Kashla, Z. "Muhammad N. Y. (2025). Metaphoric Expressions in Jordanian Colloquial language; Linguistic Approach. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(5), 7105.
https://doi.org/10.35516/hum.v52i5.7105

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to highlight the significance of the language used by Jordanian teenagers in shaping figurative expressions and their pragmatics in terms of both form and meaning. The study focuses on the discourse of figurative expressions and their usage domains within this demographic, following the principles of linguistic borrowing and economy.

Methods: The study employs a descriptive-analytical method with a linguistic approach. It is divided into two main parts: the first part presents the discourse of contemporary figurative expression, and the second part analyzes the domains of this discourse's usage.

Results: Among the prominent findings of the study are the contributions of contemporary figurative expression to the language in terms of both form and meaning. It emphasizes the value of expressive economy, the importance of linguistic borrowing in countering accusations of rigidity and stagnation in Arabic, and the flexibility of expressions in practical communication.

Conclusions: The study traces the figurative expressions in the language of Jordanian teenagers through a linguistic approach. The research problem revolves around answering the following questions: How do we understand the mechanism of figurative expression formation? What is the significance of figurative expression usage in society? How do figurative expressions serve the Arabic language specifically and language in general? This is achieved by presenting the contemporary discourse of figurative expression and analyzing a range of expressions in various pragmatic domains of youth language.

Keywords: Language, youth, Jordanian, linguistics, figurative expressions, approach.

التعابير الكنائية في العامية الأردنية؛ مقاربة لسانية

زيد "محمد ناجي" يعقوب الكشله*

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن

ملخّص

الأهداف: بيان قيمة لغة الشباب الأردني المراهق في تشكيل التعبير الكنائي وتداوليّته لفظًا ومعنى، ومحتوى البحث دراسة لخطاب التعابير الكنائية ومجالات تداولها في لغة هذه الفئة وفق مبدأ الاقتراض والاقتصاد اللغويين.

المنهجية: المنهج الوصفي التحليلي بمقاربة لسانية. وتقع الدراسة في إضاءة ومحورين اثنين: الأول يعرض خطاب التعبير الكنائي الحديث، والثاني مجالات تداول هذا الخطاب تحليلًا.

النتائج: لعلّ من أبرز نتائج الدراسة: خدمة التعبير الكنائي الحديث اللغة لفظًا ومعنى، ذلك بإبراز قيمة القدرة على الاقتصاد تعبيريًّا، وأهمية الاقتراض اللغوي في دفع تهمة الجمود والتصخّر عن العربية، وقيمة مرونة التعابير تداوليًّا في التواصل.

الخلاصة: تنهض الدراسة على تتبّع التعابير الكنائية في لغة الشباب الأردني المراهق بمقاربة لسانية. إنّ مشكلة الدراسة تكمن في الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف نفهم آلية تشكُّل التعابير الكنائية؟ وما أهمية تداول التعابير الكنائية في المجتمع؟ وكيف تخدم التعابير الكنائية اللغة العربية خاصة واللغة عامة؟ ذلك بعرض خطاب التعبير الكنائي الحديث، وعرض مجموعة من التعابير في عدد من المجالات التداولية للغة الشباب وتحليلها.

الكلمات الدالة: لغة، الشباب، الأردني، لسانية، التعابير، الكنائية، مقاربة.

مقدمة

التغيُّر سمة ثابتة في اللغة، وهو ما يؤكّد كينونتها الحية ويشهد على مرونتها مع مضي العصور، ومنبع سمتها يتأتى من تداوليتها بين البشر بمستوياتها الصوتية والتركيبية والاشتقاقية والدلالية، وهذه التداولية لعلَّها تكون السمة الرئيسة التي تحقق باقي سمات اللغة. والتغير هنا يصدر عن تحوُّل يحلّ على التداول اللغوي، الذي مردّه إلى تأثير الخطاب في البنية الذهنية للبشر، واللغة تنال نصيبها من هذا التأثير بوصفها جزءًا من هذه البنية، أي إنّ الخطاب اللغوي فيه نقاط رصد تَتَبَّع تلك التحولات.

اللغة بطبيعة الحال تهدف إلى الإبلاغ؛ ما يعني أنَّ هذا الهدف لا تُشترَط نمذجته بآلية واحدة؛ لأنّ هذا يضرّ باللغة من بُعدَيها الاجتماعي والنفسي بأنْ يجرّدها قدرتها على الإفهام العام لتنوُّع مستويات التلقي اللغوي، وقدرتها على إبداعية جمل جديدة، وهذا ينتقص من كُليَّتها. وهنا تبرز إحدى وسائل الإبلاغ في السمة البلاغية، وهي التعبير الكنائي، الذي هو موضوع هذه الدراسة في أنموذج لغة الشباب الأردني المراهق. لكنْ، هل تأثير الخطاب وحده هو المحرِّك الرئيس لهذا التغيَّر؟ إنَّ الإجابة تكمن في خضوع اللغة للنوع؛ أي إنّها بشرية، ما يعني أنّها تتأثّر بما يتأثّر به الإنسان من عوامل اجتماعية ونفسية خاصةً تُمرِي لغته وآلية تداولها باستمرار حتى في مراحل تغيُّرها.

والسؤال هنا: هل هذا التغير كلي أم جزئي؟ هذا يتعلَّق بطبيعته؛ فالتغير هنا تطوّر، ما يعني حدوثه تدريجيًّا وبشكل جزئي؛ لأنّ اللسان في الأصل ملكة بشرية تضم اللغة، وهذا يدل على أنّها تتطور تطوّرَ الحواس والقدرات البشرية تدريجيًّا. العوامل هي التي تؤثر بشكل رئيس في اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية ونشأتها لها علاقة وثيقة بالجانب النفسي أيضًا منذ مرحلة الطفولة المبكِّرة؛ فالبشر قادرون على اكتساب اللغة فطريًّا، ذلك بتجاوب الدماغ بطريقة محدَّدة جينيًّا -بوصف اللغة مرتبطة بالنوع – مع النمو السليم للمثيرات اللغوية لدى الطفل في مجتمعه، فاللغة بشرية كُليَّة ولا تُكْبَت.

الشباب مرحلة تتمتَّع اللغة فيها ببحبوحة للتداول بشكل ينماز عن المراحل الأخرى، وهذا التميز تعزوه الدراسة إلى عوامل عدة تتكشّف في الصفحات الآتية، والتعبير الكنائي آلية تداول للمعنى تفعِّل لغة الشباب في إطار دراسة اللغة لسانيًّا. وتهدف الدراسة إلى بيان واقع لغة الشباب من حيث التداول والهدف في ظل تحوّلات الخطاب اللغوي؛ ذلك بمحاولة عقد مقاربة اجتماعية نفسية بوصفها أداة تحليل بيّنة للمعاني ومضامين الدلالات، وما يتصل بهذا الخطاب من حيث سياقه اللساني وواقعه التداولي.

والمنهج الوصفي التحليلي مع مقاربة لسانية سوسيونفسية هما أداة الدراسة هنا؛ للوصول إلى تصوّر أقرب ما يكون للحقيقة حول واقع لغة الشباب اجتماعيًّا ونفسيًا؛ ذلك بوصف التعابير الكنائية ذات الصلة بكل مجال متاح من مجالات التداول اللساني وتحليلها دلاليًّا.

تقع الدراسة في إضاءة ومبحثين وخاتمة، والإضاءة تلقي الضوء على واقع اللسانيات الاجتماعية والنفسية وحال لغة الشباب استنادًا إليها، وقراءة في مفهوم التعبير الكنائي. أمّا المحور الأول يتحدّث عن خطاب التعبير الكنائي الحديث وفق اللسانيات الاجتماعية مع مقاربة للسانيات النفسية، ويُعنى المحور الثاني بمجالات هذا التعبير الكنائي الحديث تحليلًا بمقاربة سوسيونفسية.

ثمة عدد من الدراسات في هذا المجال نالت نصيبها من البحث، ومنها الألفاظ الخاصة بالشباب الجزائري في العاصمة: دراسة سسيولوجية لحفيظة بن محمد، التي تلتقي مع هذه الدراسة في عنايتها باللسانيات الاجتماعية والفعل الاجتماعي للغة، والتعابير الكنائية في العربية؛ سيرورة وصيرورة لسهى نعجة، التي بدورها اعتنت بموضوع دراستنا نفسه (التعابير الكنائية)، والانحرافات اللغوية في لغة الشباب لعلياء حمدي الصعيدي، التي تتمقّل نقاط التحوّر في مسار لغة الشباب -ومن بينهم المراهقون -، والشباب ولغة العصر، دراسة لسانية اجتماعية لنادر سراج، التي تُعدّ نقطة انطلاق مهمة لدراستنا هذه من حيث علاقة اللسانيات الاجتماعية بالتطور اللغوي زمانيًّا وتُبرِز عوامل تكوّن اللغة الحديثة عند الشباب عامة.

وينبغي لمن أراد البحث في هذا المجال تسليط الضوء على اللغة بوصفها بشرية دون الالتفات إلى قوميتها؛ حتى ينأى بنفسه عن التعصُّب ظالمًا موضوعية البحث العلمي وأمانته في تسجيل النتائج الفعلية، ويجب فهم أنَّ ما تخرج به هذه الدراسة من نتائج يوظّف في خدمة اللغة أولًا، ويكشف عن جانب مهم من علاقة التراث اللغوي بالمعاصرة، فاللغة البشرية تُعنى بالموروث والمستحدَث، وتحاول أنْ تزاوجهما بما يدعو إليه علم اللسانيات الحديث؛ لأنّ الهدف الرئيس منه محاولة فهم اللغة بمنظور جديد ورؤية تحقّق فهمًا مختلفًا لإحدى أنظمة النفس البشرية الحية (اللغة)، الذي ينماز به البشر عن سائر المخلوقات والأشياء، ما يؤكِّد أنّ هذا العلم ضرورة مُلِحَّة لفهم سرّ تفوّق الإنسان في هذا الكون.

إضاءة

تستأهل اللغة الدراسة انطلاقًا من تداوليتها، التي تصدِّرها لتتبوَّأ منزلة المحاور الرئيس لآليات وصف ظواهرها والعلوم الأخرى، فاللغة تتطوَّر لأنَّها تُستعمَل. واللسانيات بوصفها علمًا إنسانيًّا؛ فإنّها تتَّسع لتتبُّع اللغة الإنسانية بوصفها مرتبطة باللسان، تلك الملَكَة التي تتطوَّر بتطوّر الإنسان، ومع ثبات سمة التغيُّر في اللغة، كان لزامًا دراسة تَمَعْلُقها بالمؤثرات الرئيسة في الإنسان، ما مهَّد لبروز مناهج مستحدَثة لدراسة اللغة، كاللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التواصلية، وغيرها.

وهنا؛ يمكن تلمّس معنى (علم اللغة الاجتماعي)، "الذي يُعنى باللغة بوصفها فعلًا اجتماعيًا عند جماعة لسانية. بالتالي؛ يمكن القول إنّه يهتم

بالتغير اللغوي وبنائه الاجتماعي" (أ.ر. هدسون، 1980) (R.A. Hudson, 1980).

إذن؛ هذا الفعل ليس فرديًّا بل جماعيًا، وهو متواضع عليه بين أفراد الجماعة اللسانية، ويخضع للتطور اللغوي؛ فاللغة نتاج حياة أفراد المجتمع المجبولين على استعمالها للتواصل والتفاهم والتعبير، وهو ما يمرّي تغيّرها صوتًا ودلالةً ومتنًا وقاعدةً.

يبدو أنّ اللسانيات الاجتماعية تنطلق من دراسة أمرين؛ أولهما اللغة، وثانيهما الإنسان الذي يتكلّمها. ومن هذا المنطلق يمكن تأطير البُعد الاجتماعي اللساني بالتحليل اللغوي للبناء الاجتماعي، ومكوّنات العنصر الثاني (الإنسان) الاجتماعية التي تتأثر لغةً بالتغيّر والتحوّل.

إنّ ممارسة اللغة اجتماعيًّا تتبدّى بتحوّلاتها تبعًا لتباين الطبقات والبيئة؛ فعلاقة الإنسان بالبيئة تؤثّر حتمًا في لغته؛ فلغة أهل البادية غير لغة أهل المدينة، ولغة الجبليين غير لغة السهليين، ولعلّ في قصة "علي بن الجهم في مدح المتوكل دليلًا على هذا" (الخطيب البغدادي، 2002)، (Al-Khatib Al-Baghdadi, 2002).

إنّ ظهور اللهجات المختلفة في بيئات بعينها مردّه إلى أنّها امتداد للهجات سابقة، وانتقال الجماعات البشرية من بيئة إلى أخرى يؤدي إلى حضورها في بيئات محددة؛ فأهل المدينة مثلًا تحكم لغتهم لهجات متنوعة؛ فمنهم من ينطق حرف (الكاف) مثلًا شينًا، أي يعطّش الحرف تعطيشًا، فيقول (شِتِفْ) بدلًا من (كَتِفْ)، ومنهم من ينطق حرف (القاف) كافًا أو جيمًا؛ نحو: جال أو كال بدلًا من قال. إنّ طبيعة البيئة بما فيها من سهولة أو وعورة تُلقي بأثرها على اللسان، ما يعني أنَّ الألفاظ القاسية عند أهل البادية والجبل حاضرة أكثر مما هي لدى أهل المدينة والسّهل؛ لأنّ هؤلاء لا يعانون قسوة البيئة كما عند الأُوَل.

التحولات اللغوية صوتًا مسيسة التركيب والصرف والدلالة أيضًا؛ فالمثقّفون والإعلاميّون والصحافيّون والأكاديميّون وأهل السُّلطة يستعملون العربية الفصيحة، وعامة الناس يلجؤون إلى اللهجة العامية، وهذا بالضرورة ينعكس على المستوى النحوي؛ فالأخطاء النحوية تقع كتابة ونطقًا عند العامة، وهي قليلة للغاية عند أولئك الخاصة.

وحتى المستوى الصرفي يشهد تباينًا في الألفاظ؛ فمن أفراد المجتمع من تفرض عليه بيئته كسر أول حرف من الكلمة؛ نحو: (بِعْمَلْ أو بِعْمَلْ) بدلًا من يَعْمَلْ، أمّا من هو في بيئة أكاديمية يقول: (يَعْمَل). وحتى دلالة الكلمة الواحدة تختلف ويختلف التعبير عنها؛ فكلمة (سِتّ) في الأردن تعني الجدة، أمّا في مصر -مثلًا -فتشير إلى النساء عامة. وقد تختلف الكلمة الواحدة ويبقى معناها واحدًا؛ فكلمة (العَافِيْةْ) في الأردن تعني الصحة والقوة، أمّا في المغرب فتعني الموت.

والوضع الاقتصادي للبيئة يمظهر تلك العلاقة أيضًا؛ فلغة الغني تتسم باللطف والإيجاز قياسًا بلغة الفقير، التي تتصف بالشدة والإطناب، وحتى اختيار الألفاظ يتصل بالمستوى المادي؛ فالغني يستعمل كلمات غربية ومعرّبة أكثر من الفقير. نحو: صندوق السيارة، والمحفظة. ولو أتينا للفقير لوجدناه يستعمل ألفاظ (دَبّةِ السَّيَّارَةْ) و(الجُزْدَانْ أو الضُّزْدَانْ). حتى إنّ استعمال حركة الضمة في ألفاظ الفقراء أكثر مما لدى الأغنياء؛ لأنّ الضمة حركة قوية وفيها من الشدة ما يوافق شدة عيشهم وشظفها.

وطبيعة الأعمال التي يشغلها أفراد المجتمع – ومنهم المراهقون - تؤثّر في لغتهم أيضًا؛ فمنهم من يعمل بالحدادة والنجارة والبناء والزراعة ونحوها تكون ألفاظه قوية قاسية ومن بيئته، فيقول –مثلًا - واصفًا الشخص صاحب البنية القوية (فُلَانْ زَيّ الثُّورْ)، ومن يتصف بضعف الشخصية أمام زوجته (فُلَانْ خَرُوفْ أو أَرْنَبْ)، ومنهم من يعمل بالوظائف الإدارية والأكاديمية فتكون لغته أكثر رقّة وعذوبة وعلمية؛ نحو: فلان ضعيف، أو جبان، أو خائف، أو متردّد.

وحتى في سياق الدين؛ تجد الحياة الاجتماعية لا تخلو من تباين الألفاظ مع اختلاف المرجعيات الدينية؛ فبعض ألفاظ المسلمين تختلف عن ألفاظ النصارى واليهود؛ نحو: (تَشَهَّدْ) و(كَبِّرْ)، (وَحِّدْ اللهْ) عند المسلمين، و(التَّعْمِيدْ) و(شُهُودُ الإِيْمَانْ) عند النصارى. وحتى أصحاب المِلَل والنِّحل يختلفون في ما يقعون عليه من ألفاظ.

وبما أنّ الحديث عن الإنسان في المجتمع وهو عنصر اللسانيات الاجتماعية الثاني؛ فهو خاضع للجنس؛ فالشباب الذكور لهم لغة وتعابير وشيفرات خاصة تختلف عمّا للإناث، فالشاب مثلًا يستعمل كلمة (كُبِيْرْ) أو (زَعِيْمْ) أو (عَقِيْدْ) أو (مُعَلِّمْ) أو (شِيْخْ) أو (مُدِيْرْ) للدلالة على تعظيم الشخص الذي أمامه وعلو مقامه، والشابة تستعمل كلمة (السَّيْدَةْ) أو (السِّتّ) أو (الرَّئِيْسَةْ) للمعنى نفسه. وحتى في الكلمات الغربية ثمة اختلاف؛ فالمراهقة تستعمل كلمة (كْيُوتْ) للدلالة على اللُّطف، والمراهق يستعمل كلمة (بَرِنْسْ) للمعنى نفسه.

بل إنّ لغة الشباب المراهق الأردني تخضع للتشفير الرقمي والرمزي؛ نحو: (111) للإشارة إلى التجهّم والغضب والحزن وعدم الضَّحك، واستعمال رمز القرنين للإشارة إلى الإنسان الديوث الذي لا يغار على عرضه، أو الإشارة بالخنصر والإبهام للدلالة على الاستهانة بالناس أو الشماتة بهم، ورمز المثلث الذي يظهر في فيديو المقاومة الفلسطينية، ويشير إلى الشجاعة في القتال والدقة في إصابة الهدف. حتى في البُعد الاجتماعي تبدو اللغة كاشفة عن واقع المجتمع السياسي؛ "فالمقهور والمغلوب مولع بتقليد الغالب كما يرى ابن خلدون في نظريته" (ابن خلدون، 2012)Ibn) (Khaldun, 2012، وهو ما يفسّر جنوح أفراده إلى الأخذ عن الإنجليزية والفرنسية وغيرهما.

أمّا علم اللسانيات النفسية (م. فيرناندیز وكارينز، 2010) (Eva M. Fernández and Helen Smith Cairns, 2010) فيسعى للوقوف على الأثر النفسي للغة بمكاشفة آلية اكتسابها وتداولها وتمثيلها، ذلك بما يظهر كينونتها بأنّها بشرية إبداعية كلية على أساس توافقها مع النحو الكلي، ودراستها قدرة البشر على تكوينها منذ الطفولة المبكّرة مرورًا بباقي مراحل الحياة. وأفكار فرويد في نظريته الخاصة بالتحليل النفسي واللاوعي، وألفرد آدلر صاحب علم النفس الفردي، ويونغ في نظريته الخاصة بالتحليل النفسي اللغوي بعلاقة الأنا باللاوعي تشير إلى تعالُق اللغة وألفاظها باللاوعي عند البشر. (فرويد، 1920) (Freud, 1920) و(أدلر، 1929) (Adlar, 1929) و(يونغ، 1986) (Jung, 1986) إنّ المقاربة الاجتماعية النفسية في هذه الدراسة –وإنْ كانت إلى الاجتماعية أَمْيَل - تسعى لإثبات علمية اللسانيات بقدرتها على توصيف الألسن وتفحُّص اختلاف الاستعمالات اللغوية في الفضاء الاجتماعي الثقافي الواحد.

في تحليل اللغة النفسي نجد أنّ الدلالات النفسية مرتبطة بكثير من الجوانب المتعلقة بالأمراض النفسية؛ كالنرجسية. التي تعني قديمًا الإعجاب الشديد بالنفس ورفعها على باقي البشر بشكل عام في كل مراحل الحياة، أمّا عند فرويد؛ فتعني الحالة الشديدة من التركيز على الذات وإهمال باقي البشر ومشاعرهم ووجودهم بشكل مَرَضي، ذلك بعد مرحلة البلوغ. (فرويد، 1914) (Freud, 1920)

ومن التعابير التي يكنى بها عن النرجسية ما يقوله المراهقون عند خوض نقاش حاد: (مِيْنْ إِنْتَ أَصْلًا؟) ترافقه نبرة تهكميّة تعطي إيحاء نفسيا بنرجسية ذاتية واحتقار للمخاطَب، وهي تمثِّل اجتماعيًا انفصالًا عن الناس بسبب مرض نفسي قد تؤثر فيه عوامل النشأة والتربية، أو المحيط الذي يعيش فيه المراهق. وقول بعض المراهقين: (مِنْ اللهْ دُوْلِهْ) التي يكنّون بها عن شدة افتخارهم بأنفسهم وعائلاتهم التي ولدوا في كَنَفِها طبقيًّا واجتماعيًّا، ويمرّي هذا الجانب النرجسي القائم على التعصّب للعائلة أو العشيرة.

يتأتّى ذلك كلّه بدراسة ما يُعرَف بالتعابير الكنائية وفق خطابها ذي مبادئ الاقتراض والاقتصاد اللغويين بوساطة استعمال المنهج اللساني الوظيفي. فالتعبير الكنائي ينطلق من وصف اللغة بأنّها نشاط متطوّر وفق مبدأ لساني، وهو يربأ بتخصصه عن معيارية البلاغة العربية؛ أي إنّه "عنصر معنى مخضَّع للتغيُّر والتطوُّر يستبعد البُعدَين الجمالي والكنائي إلى البُعد المجازي المستهلك، على أنّه قد يقبل تعدُّد الدلالة بتعدُّد المراجع لسانيًّا، لكنّ قرائن السياق تقيّده" (نعجة، 2015) (Naeja, 2015).

إنّ المقاربة اللسانية هنا تتجوهر في علاقة اللسانيات النفسية بالاجتماعية، والجوهر يتمعلق بآلية اكتساب اللغة عند الإنسان؛ فاللغة فطرية تتأثّر بتطور النفس البشرية بمكوّناتها (الأنا، والهو، والأنا العليا)، التي بدورها تُشكّل وتُصقَل لغتها بوصفها سلوكًا اجتماعيًّا، وهنا نتمثّل تَحَوْصُل اللغة بالنوع. تطور كهذا يعني مرور اللغة بالمراحل العمرية المختلفة للإنسان شاملًا مرحلة المراهقة، التي تتغيًّا الدراسة البحث في لغة الشباب الأردني عندها. ولعلّ اللغة ترتبط بالاستعداد الجيني للإنسان الذي يبدأ بالكلام في بدايات عمر الإنسان، "الأطفال يتعلَّمون بشكل متماثل في جميع أنحاء العالم". (سلوبِن، 1972) (Slobin, 1972)

هذا يبيّن أنّ الأطفال يمرون بتغيرات في المستوى النفسي، التي تُصاحَب بمجتمع يعيشون فيه في كل مرحلة عمرية، الذي تمارس فيه السلوكات الاجتماعية (اللغة) بأطوارها المتعدّدة. وبحلول سنّ الخامسة تكون أسس اللغة البنائية قد اكتملت لدى الطفل، وبدأ تكوينه الثقافي الذي يُعدّ حصيلة علاقة الفرد بالمجتمع، ويميّز الأطفال بعضهم عن بعض من حيث تطور اللغة، وهذا التميّز يكون على المستوى الفردي.(م. فيرناندیز وكارينز، 2010) (Eva M. Fernández and Helen Smith Cairns, 2010)

في سن الشباب المراهق تغدو مساحة ممارسة ذلك السلوك الاجتماعي أكبر؛ بسبب اكتمال تشكّل مكونات النفس البشرية الثلاثة من حيث بنى اللغة، والوصول إلى مرحلة متقدمة من التكوين الثقافي، الذي يعين المراهقين المميّزين على ابتكار ألفاظ لغوية تعبيرية جديدة، ولعلّهم يلجؤون إلى التعبير الكنائي بوصفه جزءًا من الفعل الخطابي للغة، التي يكون استعمالها فرديًّا عند المخاطِب بوساطة الوسائل التي يختارها وتعينه على تحقيق التواصل الذي يروم به تأثيرًا معينًا في المخاطَب، وهذا يفسّر إنتاج ذلك التعبير وفق مبادئ معينة، كالاقتراض والاقتصاد اللغوي.

ومما يُضاف إلى هذا؛ أنّ ظاهرة التعابير الكنائية عند الشباب انتشرت ومستمرة في ذلك رغم دور المؤسسات الرسمية والمدارس والجامعات والمراكز التعليمية المختلفة والخطاب الرسمي للدولة، وهنا نتمثّل ذهنيًّا قوة حضورها وتأثيرها في البنية التداولية للغة العربية. (بن محمد، 2017) (Bin Muhammad, 2017)

المحور الأول: خطاب التعبير الكنائي الحديث عند الشباب

إنَّ التعبير الكنائي أحد مظاهر النشاط اللساني الذي يشكّل آلية تمثّل عنصرًا لأداء المعنى، وهذا من شأنه أنْ يقود للتساؤل عن مراحل تشكُّل هذا التعبير. الإجابة تنطلق من توصيف اللغة لسانيًا بأنّها بشرية وظاهرة اجتماعية؛ أي إنّها تحتكم في تشكيل التعبير الكنائي إلى **الاقتراض** لغويًا و**الاقتصاد** تعبيريًّا.

الاقتراض هنا يشير إلى "قاعدة توضّح الخطاب وأشكال التواصل في المجتمع المعاصر" (سراج، 2012) (Seraj, 2012). أي إنّه يُمرّي تساكُن الألفاظ من اللغات المختلفة بعضها مع بعض، فالاقتراض يخدم النشاط اللغوي للمُقرِض والمُقترِض، ما يؤكّد أنّ الحقل البحثي اللساني ملائم لدراسة الاقتراض اللغوي وآليّاته. وتنبع أهميّته من إمداد اللغة بوسائل تعبيرية ومصطلحات جديدة، وتفعيل التلاقح بين الثقافات واللغات، والمناهج اللسانية في دعم القدرات التواصلية والنسيج اللغوي بالتعبيرات الجديدة.

ويمكن القول إنّ الاقتراض اللغوي هنا آلية لسانية لتشكيل التعبير الكنائي الحديث، ما يدلّ أيضًا على توائُق العلاقة بين مستويات اللغة وهذا الاقتراض؛ لأنّه مسيس بها كلّها بوصفه يتمعلق جذريًا بالتعابير الكنائية المتداولة في لغة الشباب موضوع هذه الدراسة.

ولعلّ أبرز مجال لعمليات الاقتراض اللغوي ثورة المعلومات والاتصالات، التي حاز الشباب المراهقون شطرها الأكبر في تعلّم اللغات الحية الأخرى، والقدرة على استثمارها قراءةً وكتابةً ونطقًا، ما يسهم في تيسير إستراتيجيات الإرسال والتلقي، وتصوير إمكانات التعبير عن المشاعر والتجاوب، واختصار مضامينها واختزالها رقميًّا وحرفيًّا وتعبيريًا بأكثر من لغة. أي إنّ الاقتراض ممارسة صحية؛ لأنّه يُمظهِر اهتمام الشباب باللغات، ما يؤهّلهم لتحيين معارفهم المتراكمة، ورفد مخزونهم الثقافي العام في مختلف مجالات التداول اللغوي الأخرى.

لكنْ، هل حجبت آليات إستراتيجية الاقتراض تلك مبدأ الاقتصاد في اللغة عند الشباب؟ بمعنى؛ هل للاقتراض اللغوي ميزة أخرى؟

بوصفه آلية لسانية لأداء المعنى كنائيًا؛ فإنّ الاقتراض يُجوهر الاقتصاد في المعنى، ما يحيلنا إلى استعراض علاقة اللغة بالاقتصاد. إنّ الحديث عن هذه العلاقة يشير بداية إلى أنَّ التعبير الكنائي يميّز بين ما هو جيد ورديء في أداء وظيفة اللغة التواصلية والتداولية. والاقتصاد يستدعي للذهن الترميز بوصفه آلية قادرة على التعبير الموجز عن كلمات أو جمل دون استعمالها، وهذا يعني أنّ الاقتصاد اللغوي مسيس المستوى الصوتي أولًا، الذي يبدو أنّه "المستوى الذي يُتاح للاقتصاد فيه الظهور والعمل"، وباقي المستويات اللغوية ثانيًا (طيبي، 2003) (Tibi, 2003).

ويمكن تمثيل ذلك باستحضار تعبير كنائي عن السخرية من رأي أو قول مثلًا، فيصدر صوت (هَا) أو (أُفْ) حينما يسمع الشخص شيئًا سخيفًا أو لا يسترعي الانتباه أو مُمِلًّا ويريد أنْ يعبّر عن رأيه هذا فيه دون أنْ يقول كلمات أو جملًا؛ نحو: (هذا الكلام تافه لا يستحق الاستماع له) أو (هذه قصة مملة ولا تلفت الانتباه).

لكن، ما المقصود بالاقتصاد اللغوي فعلًا؟ يذكر فلوريان كولماس أنّ "اللغة في حد ذاتها شرط أساسي للحياة الاجتماعية، وكل لغة هي نتاج للحياة الاجتماعية. وعلم الاقتصاد هو البحث عن مؤشرات أمثلية الكفاءة لعلاقات الوسائل – الغايات في أداء المهمات" (Coulmas,1992) (كولماس، 1992).

إنّ هذا يعني أنَّ الاقتصاد يتمعلق بالتعبير بوصفه آلية تحقيق غايات اللغة هنا؛ ذلك بأنّ تلك الغايات هي ما تصدِّر اللغة للتقييم من حيث قدرتها على تحقيقها، والتعبير الكنائي بوصفه نتاج تضافر الاقتراض لغويًّا والاقتصاد تعبيريًّا يحقِّق تلك الغايات؛ لأنّه عنصر معنى. إذن؛ يمكن القول إنّ الاقتصاد اللغوي سمة أداء التعابير الكنائية، والاقتراض هو أداةٌ لتشكُّلها.

ولغة الشباب تتابع هذا الخطاب كلّه وترصد تطوّره باستمرار، حتى إنّها تواكب كل تعبير كنائي جديد؛ لأنّ سيرورتها التداولية تحقق لها صيرورتها التواصلية. والشباب المراهق خاصة تُمرّى لديه علاقة الإنسان باللغة بقوة بوصفها فئة منفتحة على التطور وحركة الحياة بمجالاتها كلّها.

تلك المجالات يتصدّر لها الشباب تشكِّل حقل تجارب رحبًا لتطبيق الاقتراض والاقتصاد في اللغة؛ لأنّها متصلة تأثيرًا وخطابًا، فكل مجال مُخضَع للغة التي هي نظام حياته الرئيس، فلا يمكن ممارسة أي مجال منها (سياسة، أو تعليم، أو صحة، أو دين، أو علوم ...) دونها. وهو ما يتفق مع رؤية اللسانيات الحديثة اللغةَ بأنّها بشرية وظاهرة اجتماعية. وهذا يؤكّد أهمية دراسة التعابير الكنائية هنا لتأكيد الصفة الاعتبارية لعلم اللسانيات، فالتطور الذي تمثّله هذه التعابير تتمقّله العقول دلالةً على تطوّر الإنسان وملكة اللسان لديه.

تنبغي الإشارة هنا إلى أنّ التعابير الكنائية وفق الاقتراض والاقتصاد اللغوي هي سيرورة للغة تضمن استمرار تداولها وتطوُّرها، وتبيّن الحاجة إلى الإبقاء على الدرس اللساني حاضرًا؛ لأنّ هذه التعابير نقطة رصد نشطة لطفرات اللسانيات وتمثّل أداة تبقي الدارس على اتصال بالواقع اللساني. ويرى نادر سراج "أنّ هذا النسيج اللغوي مرن ويتلاءم مع حاجات متداوليه، وهو يعكس قدرة الباحث اللساني على إبراز تجربة الإنسان في العالَم من حوله" (سراج، 2012) (Seraj, 2012)، ما يؤكّد أنّ التعبير الكنائي الحديث جزء أساسي من خطاب علم اللسانيات الحديث.

وهذا ما يصدّر لغة الشباب لتمارس النشاط اللساني بقوة ووضوح في هذا العصر وما بعده، فالمراهقون قوة محرّكة للمجتمع؛ إذْ إنّهم أقدر على العمل والإنجاز في المجالات الاجتماعية كلّها مقارنة بغيرهم، والمجالات الدينامية (الإعلام والصحافة والسياسة خاصة) (سراج، 2012) (Seraj, 2012)، ما يؤكّد مرونة لغة الشباب، التي تدلّ على انفتاحها على المؤتلف (اللغة العربية) والمختلف (اللغة الأجنبية)، فالاقتراض والاقتصاد ميزتان في تداولية لغة الشباب.

ولا بأس لو عُرِضت بإيجاز حال تلك التعابير عند القدماء؛ فهذا ابن جني يشير إليها في كتابه الخصائص؛ فيقول: "فأمّا تجوّزهم في تسميتهم الاعتقادات والآراء قولًا؛ فلأنّ الاعتقاد يخفى، فلا يُعرَف إلّا بالقول، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال، فلمّا كانت لا تظهر إلّا بالقول سُمِّيت

قولًا إذ كانت سببًا له." (ابن جني، 2008) (Ibn Jinni, 2008).

فهذا القول يبيّن أنَّ (شاهد الحال) هنا آلية للتعبير عن القصد من الرأي أو القول، وهو ما يقارب دور التعبير الكنائي الحديث، ويبيّن أهميته المتجذِّرة في أداء تداولية اللغة وتواصليّتها. لكن لِمَ ينوب شاهد الحال أو ما لعلّه يجوز لنا أنْ نقابله بالتعبير الكنائي عن القول الصريح؟

إنَّ إجابة هذا السؤال تبيّن علاقة الإنسان بمحيطه ولغته، وتبيّن أنَّها قائمة على التأثُّر بخطاب المجتمع والتأثير في آليَّة التعبير عن المعنى. بذا؛ فإنّ التعابير الكنائية تخدم هذه العلاقة، فالإنسان لا يستطيع قول ما يريد بالضبط دائمًا؛ لأنّ ثمة عوامل سُلطوية يخضع لها فكريًّا (أيديولوجيًّا) أو نفسيًّا أو اجتماعيًّا. بالتالي؛ فإنّ خطابها يتحكَّم به، فيلجأ إلى موازاته بشكل غير مباشر (كنائيًّا) لتحقيق **غايات اللغة** التي تخضع أيضًا لمنظومة التطور (عبد التواب، 1990) (Abdul Tawab, 1990)، تلك التي تتبَّع تاريخ الألفاظ دلاليًّا، وبيان ما يعتريها من تحوّلات تُمَظْهِر تطورها اللغوي بمختلف مستوياته.

على أنَّ هذا التطور وإنْ كان مرهونًا بخطاب الشباب المراهق، لكنّه مسيس بفئات أخرى من المجتمع الأردني تتأثّر بهذا المصدر وتقترض منه، فالأطفال يقلِّدون المراهقين في لغتهم؛ لأنّهم في مرحلة تتطوّر فيها لغتهم بسرعة.

لكنْ، هل يُعمِّي هذا التطور لغة الشباب عمَّا تمقّلته من تعابير سابقة؟ الإجابة ههنا تعني استحضار بعض التعابير الكنائية التي استعملت قبل بضعة عقود مثلًا لتقييم مدى تداوليتها اليوم. فتعبير "(فلان بِيْخَنْصِر) مثلًا بمعنى: يختلس مالًا مما هو مؤتمن عليه، مأخوذ غالبًا من كلمة (الخِنْصِر)، وهي السكين الصغيرة التي يستعملها صبية الجزارين في عملهم، وهو يشير إلى أنّهم كانوا يسرقون بعض اللحم بهذه السكين ويخفونه." (عبد التواب، 1990) (Abdul Tawab, 1990)

وهذا التعبير في الزمن الحاضر ما يزال متداولًا بلغة الشباب عامة والشارع، وثمة ما يمكن استحضاره هنا لتأكيد هذه الفكرة؛ نحو: (مُشَحْطَطْ)، و(بِقُصّ عُمْلِةْ)، و(فَلْتِةْ زَمَانُهْ)، وغيرها مما يُتَداوَل الآن. وتحمل أبعادًا تعبيرية اجتماعية تكنّي عن الطبقية المادية التي يقسم على أساسها الناس اجتماعيًّا، وتؤدي إلى تراتبية نفسية في قبول الآخر وأسلوب التعامل معه؛ الأمر الذي يدل على أنّ لغة الشباب تراكمية. لكنْ، ما مجالات تطبيق لغة الشباب في المجتمع؟ وكيف تحقق التعابير الكنائية غايات اللغة؟ وما إستراتيجيتها في هذا؟

المحور الثاني: مجالات تطبيق خطاب التعبير الكنائي الحديث عند الشباب

تنبغي الإشارة هنا إلى أنّ التعابير الكنائية ردّ صادح على دعاة الانغلاق على الذات، الذين يَلْوُون خصائص اللغة العربية لخدمة أحكامهم الظالمة على اللغة. إنّ قَوْمَمَة اللغة تظلمها بأنْ تنفي عنها ما تتجلّى به، ويدفع ببعضهم إلى التعصّب لها، وهو ما يوقعهم في مغالطة تجعل من اللغة وفق نظرتهم صالحة لزمن واحد بعينه؛ لأنّهم ينغلقون على صفتها التطوُّرية. إنّ لغة الشباب "تُقرّ بالتطور اللغوي الذي يحافظ على تواصلية اللغة ومعاصرتها ووحدتها، وهو ما ينتج عن أنّ اللغة وعاء معرفي متجدِّد." (نعجة، 2015) (Naeja, 2015).

وتقدر لغة الشباب على ترسيم حدود التخصصات المعرفية؛ ذلك بتتبع مستويات الفهم للمتلقين في تعاملهم مع التعابير الكنائية. وهذا يحيل إلى الحديث عن المجالات الحياتية اليومية لتداول لغة الشباب، التي تصل كل واحد منها بشكل أساسي، ما يعني تَجَوْهُر علاقة الخطاب اللساني الحديث بالحياة. وهنا تكاشف التعابير الكنائية واقع الإنسان مع اللغة، وهو ما يوضّح نتائج تحقيق غايات اللغة؛ فالتواصلية تعكس تباين مستويات الفهم، وهو ما يؤكّده امتحان شخص لا يعرف عن العربية الفصيحة مقارنةً بمن هو اختصاصي في بضعة تعابير كنائية موروثة؛ نحو استعمال التعبير الكنائي (طويل النجاد)، الذي يشير إلى طول القامة وعظمتها، و(لا يقعقع له بالشنان) كناية عن الاستخفاف بالشخص ونسبة الحمق إليه، و(خطّ العذار على صفحتيه كتابًا) كناية عن بلوغ الشخص سنّ الشباب الذي تنمو فيه لحيته على جانبَي وجهه. فالعامة لن يقعوا على المعنى المقصود؛ "لأنّ الاستعانة بالتعبير الكنائي الموروث يُوقِع في مأزق تواصلي" (نعجة، 2015) (Naeja, 2015). أمّا القلة المثقفة فتستطيع الوصول إليه، ما يعني أنَّ خطابها الحديث ينقِذ من الوقوع في هذا المأزق؛ نظرًا لأنّ هذه التعابير الحالية تعيش في الواقع، في الوقت الذي بَعُدَت الشُّقة بين عامة الناس واللغة الفصيحة.

في المقابل؛ فإنّ تعابير مثل: (فُلَانْ زَيّ الحِيْط) في الأردن، و(فُلَانْ رِكِبِ المُوْجِةْ)، و(فُلَانْ خَالِصْ كَازُهْ) مفهومة للغالبية العظمى من العامة، وهو ما يحقق تواصلية اللغة وباقي غاياتها.

أمّا مجالات التعبير الكنائي التطبيقية؛ فتشمل السياسة، والاقتصاد، والدين، والرياضة، والتكنولوجيا والاتصالات، والطعام والشراب واللباس، وعناصر الحياة البرية، وعلوم اللغة العربية، والألوان، والدوال المقترضة المعرَّبة، والشخصيات المشهورة والأسطورية، والحياة العامة، وغيرها.

في **السياسة** نجد التعابير الكنائية مهمة للغاية؛ لأنّها تناسب هذا المجال بوصفه يتضمَّن كثيرًا من المحظورات التي إنْ استُبِيحت أدّت إلى معاقبة من فعل هذا. فمثلًا؛ يستعمل تعبير (الرَّاسْ الكْبِيْرِةْ) للدلالة على حاكم الدولة أو شخص يترأّس نظامًا سياسيًّا معينًا يتصف بالفساد، والبعد الاجتماعي ههنا يلقي برمزية الرأس على التعبير؛ لأنّها تمثل المكانة الأعلى من الجسم كما تمثّل مكانة هذا الشخص في ذلك النظام، والجانب النفسي يشير إلى أنّ هذا التعبير يحمل دلالة الخوف والانحناء أمام السلطة المتجبّرة التي تتعالى على الشعب عُلُوّ الرأس على الجسم.

ومن التعابير قولنا: (إِيْدُهْ طَايْلِهْ) كناية عن ذي النفوذ الذي بيده مقاليد الأمور، واليد هي رمز العمل اجتماعيًّا، وفيها رمز القوة والإنجاز. وقولنا: (الرَّبِيعْ العَرَبِيّ) كناية عن الأحداث السياسية التي وقعت في عدد من البلاد العربية وسعت خلالها الشعوب للثورة على الأنظمة الظالمة. وقولنا: (بَطْنُهْ كُبِيْرِهْ) أو (مِنْ تَحْتِ الطَّاوْلِهْ) كناية عن صاحب النفوذ السياسي الفاسد الذي يتقاضى الرشوة ويختلس الأموال. وقولنا: (بَلَحَهْ) كناية عن السخرية من حاكم يتصف بالحمق والانفصال عن الواقع. وقولنا: (مَعَالِيْقْ)، الذي يشير إلى السخرية والتهكم من الرجل السياسي الذي يحمل هذا اللقب في حال أنّه أساء في عمله وظهر فساده.

أمّا في **الاقتصاد**؛ فالتعابير ترتبط بالنقود والأحوال المعيشية للإنسان؛ نحو: (حَنَفِيَّهْ قُرُوضْ) كناية عن النظام الاقتصادي الذي يكثر من الاستدانة ماليًّا، وقولنا: (الوَرَقَهْ الخَضْرَا) كناية عن قوة عملة الدولار، التي تسيطر على أغلب تعاملات الاقتصاد العالمي، وهي تتناسب مع رمزية القبول النفسي لهذه العملة ذات اللون ذي التأثير الإيجابي، و(التِّنِّيْنْ الصِّيْنِي) كناية عن قوة الإنتاج الاقتصادي في دولة الصين ونشاط حركة التجارة فيها، وما يثيره التنين من تأثير نفسي مرتبط بالقوة والصلابة.

مجال **الدين** أيضًا يُنتِج الكثير من تلك التعابير، ومنها: (اليُومْ صِيَامْ) كناية عن اعتزال فعل عادة ما في هذا اليوم. وفيه دلالة نفسيا على صعوبة ترك هذه العادة بسبب التعلق بها. وقولنا: (الحَاجّ) كناية عن العجوز كبير السن، أو الأب الذي تجاوز الستين، وهذا نسبة إلى مكانة ركن الحج العظيمة، وهو تعبير يضفي بُعدًا نفسيًا متمثلًا بالاحترام والتبجيل للمُكنَّى عنه. و(كِلْمِتُهْ قُرْآنْ) دلالة على صدق قوله وثبات هذه الصفة فيه، وهو مأخوذ من الرمزية الاجتماعية للأخلاق والتربية في القرآن الكريم. وهو تعبير يحمل بعدًا روحانيًا نفسيًا إيجابيًّا.

وفي **الرياضة** ثمة استعمالات كثيرة للغة الشباب في تعابيرهم الكنائية؛ نحو: (الطَّابِهْ فِي مَلْعَبَكْ) كناية عن أنّ الأمور بين يديك الآن؛ فتصرّف بشكل صائب، وهو تعبير يشير إلى لغة طبقة من الشباب الرياضيين أو المعنيين بالرياضة، وهو يُتَمقَّل نفسيًّا **بامتلاك** القدرة والوسيلة على الفعل. ومنها أيضًا قولنا: (الدَّوْرِي وَلَّعْ)، كناية عن حدوث حوادث خطيرة أو عظيمة مشتعلة، وكلمة (وَلَّعْ) لها دلالة نفسية على الاضطراب أو القلق أو لفت الانتباه لحدث ما.

يُعدّ مجال **التكنولوجيا والاتصالات المتنوعة** رحبًا لتداول التعابير الكنائية وتلمّس أثر الاقتراض والاقتصاد اللغوي، فالألفاظ المعرّبة حاضرة بقوة؛ نحو: (مُخّك بِدُّهْ فَرْمَتِهْ، أو خَارِجْ نِطَاقْ الخِدْمِهْ، أو فَاصِلْ شَحِنْ، أو ضَارِبْ فْيُوزُهْ، أو السُّوْفْتْ وِيرْ ضَارِبْ) كناية عن ضرورة أنْ يغيّر الشخص الموصوف طريقة تفكيره؛ لأنَّه يتَّصف بالعناد الشديد. ومنها قولنا: (فَوَاكِهْ مْهَرْمَنِهْ) كناية عن عدم نقائها وأنّ أكلها ضارّ بالصحة. فكلمة هرمون تتناقض مع قناعة المجتمع بأنّ ما تنتجه الطبيعة دون تدخل بمثل هذه المواد يكون نقيًّا وآمنًا. وكلمة (هرمون) المأخوذة منها كلمة (مُهَرْمَن) تشير نفسيًا إلى الاضطراب والقلق؛ لأنّ الهرمونات يمكن ألَّا تستقر نسبها؛ فتؤدي إلى ذلك. ونجد أيضًا في هذا المجال قولنا: (فُلَانْ بِجُوجِلْ)؛ بمعنى أنّه يستعمل محرّك البحث عبر الإنترنت للحصول على بعض المعلومات. وقولنا: (فلانة تِتْشَاتْ)؛ أي إنّها تتواصل مع أحد ما عبر غرفة محادثة إلكترونية، وهو تعريب لكلمة (شات).

ولم تُفَوِّتِ التعابير الكنائية **الطعام والشراب واللباس**؛ نحو: (قَلْبْهَا قَلْبْ خَسِّهْ) كناية عن الطيبة والنقاء، وبياض قلب الخسة فيه دلالة نفسية على النقاء. و(بِنْتْ بِيْضَا زَيّ الحَلِيبْ) كناية عن شدة بياضها وجمالها وصفاء بشرتها، و(عَبَايِهْ الدَّارْ) المفصّحة إلى (عباءة الدار) كناية عن الشخص الذي يحتضن أهل البيت كلهم وهو مسؤول عنهم، والعباءة اجتماعيًّا يلبسها أصحاب المكانة الرفيعة والهيبة، وهي تحمل إشارة نفسية إلى الدفء والاحتضان الذي توفّره العباءة لمن تحيطه. وقولنا: (البِنْتْ لَمُونْ) كناية عن الجمال الكبير، فالليمون لونه أصفر وفيه لمعة تجذب الانتباه، وقشرته تكون ملساء كناية عن نعومة البشرة. وهذا نفسيًّا يعطي تأثيرًا انفعاليًّا لافتًا للانتباه بما يعطيه اللون الأصفر من جذب. وقولنا: (شْرِبْتْهَا)؛ بمعنى أنّ هذا الشخص تعرّض لمزحة من أحد أصدقائه أو خدعة من محتال ما. والشرب هنا فيه إشارة نفسية إلى وقوع الشخص في هذه المزحة أو الاحتيال بسهولة كما أنّ الشرب أمر سهل.

و**الحياة البرية** بما فيها من عناصر الطبيعة تحظى بنصيبها من تلك التعابير؛ ومنها قولنا باستعمال رمزية حيوانية: (الشَّبْ أَسَدْ) كناية عن قوّته وشجاعته وهيبته. و(البِنْتْ وَرْدِهْ) كناية عن لطفها النفسي وأنّها محبَّبة للنفوس لجمالها وشبابها ونضارتها. والوردة رمز للشباب يشير إلى انتماء الموصوفة إلى تلك الفئة العمرية. و(الشَّبْ طَاوُوسْ) كناية عن غروره وإعجابه الشديد بنفسه، و(هذا البِيْتْ نَهَرْ جَارِيْ) كناية عن أنّ أهله من فاعلي الخير الذين يكثرون من الإحسان للناس، والنهر له رمزية نفسية تتعلق بالخير؛ لما فيه من ماء وأسماك. وقولنا: (هَذِهْ الأُمّ شَجَرِهْ بَلُّوطْ) كناية اجتماعية عن ثباتها على تربية أولادها والعناية بهم وأنّها قضت أغلب عمرها في هذا. وكنايتها نفسيًّا تستحضر للنفس تأثير الثبات والقوة التي تبثها رؤية شجرة البلوط ذهنيًّا وقت سماع هذا التعبير. وقولنا: (فُوقْ الرِّيْحْ) كناية عن أنّ هذا الشخص غني ويملك ثروة كبيرة، ويقدّم إشارة نفسية إلى القوة التي تتعدّى تأثير الريح في الأشياء، ما يُشعِر بالارتقاء عن الآخر.

و**علوم اللغة العربية** من نحو وصرف وصوت ودلالة لها بطبيعة الحال جزء من تلك التعابير؛ فنجد في قولنا: (هذا الرجل لا مَحَلَّ له من الإعراب) كناية عن أنّه لا يحظى بأيّ تقدير أو اهتمام وليست له مكانة اجتماعية بين الناس. والأثر النفسي لهذا التعبير يشير إلى استشعار بساطة تجاوز الشخص

أو الشيء بلا مشقّة. وفي قولنا: (فُلانْ مُعْجَمْ مُتَنَقِّلْ) كناية عن ثقافة تدلّ على اتّساع معرفته بلغة مجتمعه ومعاني ألفاظها واشتقاقاتها. ونتمقّل كنايتها نفسيًّا بالإعجاب بجانب من شخصيته وتقدير تأثيره الإيجابي في نقل المعرفة إلى غيره.

و**الألوان** تشهد تداولًا لهذه التعابير في الوصف خاصة؛ فنقول: (وَجْهُهْ أَصْفَرْ) كناية عن المرض، فالصُّفرة فيها إشارة نفسية إلى الذبول والتعب وانتمائه إلى فئة المرضى. وهذا اللون اجتماعيًّا يثير الانتباه نحو الشخص بتصنيفه حسب اللون في فئة عرقية معينة. وقولنا: (الوَرَقْ بِيْ) كناية عن القدم ومضي الزمان عليه حتى تغير لونه إلى البني، الذي يذكّر بالصدأ وتأثيره. وفيه تأثير نفسي بارتباط اللون البني بكفرة القِدَم والبِلا. وقولنا: (إِيْدْهَا خَضْرَا) كناية عن أنّها تفعل الخير كثيرًا، واللون الأخضر يشير إلى نفسيًّا إلى الراحة والخير.

والمجال الأوسع للتعابير الكنائية هو **الحياة العامة اليومية**، التي تمرّي كثيرًا من التعابير الكنائية في مختلف الحاجات؛ نحو قولنا في سياق المهن والحِرَف: (على الجَنْطْ) وتفصيحها مقامه مقام (دولاب السيارة) دلالة على الشخص المفلس، الذي مقامه بين الناس اقتصاديًّا واجتماعيًّا مرذول. وهو يمثل بعدًا نفسيًّا يشير إلى الدُّونية والتهميش في إشارة إلى انخفاض مكان الدولاب من السيارة.

وقولنا: (مِنْ عَلَى وِجْهِ البُكْسِةْ) وتفصيحها (مِنْ عَلَى وِجْهِ الصَّنْدُوقْ) تعبير كنائي ينبئ بارتفاع جودة الشيء الموصوف، وهو يدلّ على بناء اجتماعي طبقي يتصدَّر فيه الإنسان ذو الصفات الأفضل، ومرتبط بمهنة الزراعة. ونفسيًّا يرتبط هذا بأنّ الشخص يحرص نفسيًّا على إظهار أفضل ما لديه عندما يتعامل مع الناس ويعرض عليهم شيئًا ما، ما يحقق لهم طمأنينة وشيئًا من الثقة. وقولنا (عُكّ وربّك بِفُكّ) الذي يعبّر عن (الاستهتار بالعمل وفساد أدائه والركون للتواكل)، وهو نتاج فساد النظام الاجتماعي، ونفسيًا يلجأ للتهكم ههنا للسخرية من الوضع القائم باستعمال السجع ذي الجرس الموسيقي المضحك؛ نظرًا لأنّ النسيج الاجتماعي يرفض تغييره، وهو ما يترجم في اللاوعي بالعجز. ومنها (رُوحُهْ فِي مَنَاخِيْرُهْ) دلالة على قلّة الصبر وسرعة الغضب، وهو مرتبط بالسلوكات السلبية اجتماعيًا التي تجعل الإنسان (المراهقون خاصة) في عين غيره محلّ نقد. وفي الجانب النفسي نجد أنّ هذا التعبير يشير إلى عقدة الموت التي يعاني منها الإنسان؛ لعلمه أنّ الموت أقرب إليه من لحظة العطاس، إلى جانب الإشارة إلى السلوك المستقبح الذي يتعلق بما يخرج من الأنف وتستقذره النفس.

و(الدَّارْ / البِيتْ / الحُرْمِةْ / أُمّ العِيَالْ / وَزَارِةْ الدَّاخْلِيّةْ / الأمن الوقائي) للإشارة إلى الزوجة، وهو اجتماعيًا مرتبط بالتابوهات التي تدلّ على الخطاب الثقافي الذي يحكم المجتمع؛ فنطق اسم الزوجة والفتاة عامةً من الأمور المعيبة في الثقافة المجتمعية، ويشير إلى تحقق أذى نفسي متمثّل بالمعايرة التي تحيق بالشخص. و(أبو غَالِبْ) للتعبير عن الرجل النذل، وهذا تعبير اجتماعي شعبي ناجم عن ثقافة في تكنولوجيا القنوات الفضائية والمسلسلات الدرامية، ونفسيا مرتبط بحالة كُره لرمزية تلك الشخصية بسبب تأثيرها في المتلقي. وكذلك (النِّمِسْ) للتعبير عن صاحب التدبير الخفي المتسلل، ونفسيًّا فيه إشارة إلى الخفة النفسية والمكر. و(الحَاجّ مِتْوَلِّي) للتعبير عن الرجل المزواج. و(أَكَلْ رَاسِي) للدلالة على كثير الكلام والعلاقات الاجتماعية بوصفه يحب التعبير عن ذاته، ويحمل دلالة نفسية على النَّهَم تجاه التكلّم وحضور الأنا. و(مِشْ عَاجْبَكْ لَقِّطْ حَوَاجْبَكْ) للدلالة على الاستبداد بالرأي والانغلاق عن غيره، وفيه إشارة نفسية إلى القسوة في الكلام المستندة إلى الاستبداد والشعور بالسيطرة، وهما تعبيران متعلقان بأعضاء الجسم التي تمثّل نفسيًّا مركز القوة والتمرّد واجتماعيًّا تشير إلى ثقافة النيل من الشخص أو الشيء بإحداث الضرر بشيء من جسمه، وهي مأخوذة من لغة العصابات والمتشرّدين.

و(الشَّابْ خَامَ) دليل على البراءة وحسن النية نفسيًّا، وهو مصطلح من بيئة العمل الاجتماعية التي تُستعمل فيها المواد الخام التي لم تُحوَّل إلى حالة أخرى، و(البنت صَبْحَة) دلالة على شدة جمالها ووضاءتها، وهو تعبير متعلّق برمزية الزمن في المجتمع، ويمثّل تأثيرًا إيجابيًا. و(بِرُشّ بْهَارَاتْ)؛ كناية عن التلاعب بالكلام وحذف أجزاء منه أو الزيادة فيها لتضبيب الصورة الحقيقية ومحاولة إضاعة الحقيقة، وهذا يكنّي عن بعض المشكلات الاجتماعية ذات نطاق العائلة أو الصداقة أو العمل. والإشارة النفسية هنا تُعكَس بالأثر النفسي الحاصل جرّاء تحريف الكلام مثل الأثر الذي يستشعره الشخص بإضافة البهارات إلى الطعام.

وثمة مجال **الدوال المقترضة المعرّبة**، التي يحضر منها قولنا: وكلمة (نيرد) للإشارة إلى المتفوق في مجال ما، وهي من المتداول المعرّب. وقولنا: (الكلام بِتْمَنْتَجْ) المأخوذ من كلمة (مونتاج)؛ بمعنى أنّه يُحضَّر للعرض أو التحوير، وهذا يتعلق بطبقات اجتماعية معينة ذات سلطة، وأثره النفسي يُعكَس باستشعار السوء الصادر عن الكذب. و(تِتْفَلْسَفِشْ) كناية عن رفض موقف من يريد أنّ ينسب نفسه لطبقة المثقفين اجتماعيًّا، أو توجيه نقد معين لشخص يخاطب غيره بمستوى أعلى من وعيه، أو رفض الاعتراف بالحقيقة في إشارة إلى رفض اجتماعي للإصلاح أو السير على الطريق الصحيح. ونفسيًّا يشير هذا التعبير إلى الاستسلام النفسي للجهل ورفض مواجهة الحقيقة، أو رفض الاعتراف بمعرفة الآخر وتفوّقه، أو تعبير عن نرجسية المخاطِب.

و**الشخصيات والأساطير**؛ ومنها قولنا: (مسمار جحا) كناية عن الشخص الذي يلازم شخصًا آخر باستمرار حتى إنّه يكاد يعلق به كالمسمار، و(إِنْتَ خِلّيّ) كناية عن الصحبة الصادقة الوفية، و(مفكّرْني مصباح علاء الدين) كناية عن عَدّ شخص معين قادرًا على تنفيذ الطلبات جميعها دون أي عائق، وتشير إلى رفض نفسي للتأثر بالخيال الذي يفصل عن الواقع، ما يؤدي إلى سوء فهم العلاقات نفسيًّا واجتماعيًّا.

الخاتمة

توقّعت الدراسة على جملة من النتائج التي تمرّي علاقة لغة الشباب بتعابيرها الكنائية بعلم اللسانيات الحديث؛ باستعراض خطابها وتحليلها، وتبيان مشاربها الأساسية، ومجالات تداولها. وللاقتراض والاقتصاد اللغوي دورهما الأساسي في تشكيل التعابير الكنائية؛ فالأول يؤدي دوره في تشكيلها لغويًّا، والثاني يكمِلها معنويًّا بإيجاز التعبير عن القصد، وهو ما يكشف عن مزايا متعددة للغة الشباب، التي تتصل بالواقع وترصد التطور اللغوي بوصف اللغة حدثًا لسانيًّا متطورًا، ما يؤكّد أنّها حقل معرفي متجدد يحافظ على أداء غايات اللغة.

هذه الدراسة أَمْيَل إلى اعتناق اللسانيات الاجتماعية، لكنّها لا تخلو من مقاربات لسانية نفسية، إذْ إنّ اللغة بوصفها ظاهرة اجتماعية وبشرية تُعنى بتتبُّع لغة الشباب، تلك الفئة الأقدر على الكسب والابتكار اللغوي لإنتاج التعابير الكنائية، التي تمثِّل سمةً للابتكار في الخطاب اللساني، ما ينقذ اللغة من مغالطة الانغلاق والتصخُّر.

وتمعلُق مجالات الحياة كلّها باللغة يشير إلى تجذُّرها في تتبُّع تطوُّر ملَكة اللسان، التي تخضع لها لغة الشباب، التي بدورها تتطوَّر مواكبةً لطارئ الحاجة الذي يدعو إلى تثمير العلاقة بين الموروث والمستحدث بصورة تخدم اللغة العربية خاصة، واللغة البشرية عامة؛ حتى تبقى الأولى في ميدان التطور بشكل يصدّرها أكثر لتَبزّ خصائصها الفريدة، وتستثمر ما يورَّد إليها من اللغات الأخرى، فاللغات حُبلى لسانيًّا في رحم واحد.

إنّ هذه الدراسة تبيّن نتائج الأخذ بالدرس اللساني في خدمة اللغة العربية، وتشير إلى أنّ ضرورة المصارحة العلمية فيما يخص الفكرة القائلة بعدم جدوى علم اللسانيات في فهم اللغة ودراستها علميًّا، إذ إنّ هذا العلم مرحلة ضرورية في طريق فهم تطور الإنسان بوصف اللغة إحدى منمازاته التي تستأهل الدراسة بدراسته هو مع مرور الزمن.

ولغة الشباب تبطن أكثر مما تظهر؛ لأنّها مثال حي على قيمة التداولية والتواصلية التي تراعي باهتمام الحاجة إلى الترميز والتَّكْنِية في مجالات الاستعمال اللغوي (السياسة، والدين، والتابوهات الاجتماعية، والحياة العامة، والتكنولوجيا، وغيرها)..

المصادر والمراجع

بن محمد، ح. (2017). الألفاظ الخاصة بالشباب الجزائري في العاصمة: دراسة سوسيولوجية. *مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، الجزائر*، 5(12)، 160-176.

ابن جني، ع. (2008). *الخصائص*. (ط3). بيروت: دار الكتب العلمية.

الخطيب البغدادي، م. (2002) . *تاريخ بغداد*. (ط1). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

ابن خلدون، ع. (2012). *كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*. لبنان: مكتبة لبنان.

سراج، ن. (2012). *الشباب ولغة العصر دراسة لسانية اجتماعية*. (ط1). بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون.

طيبي، أ. (2003). *وظيفة الاقتصاد المورفونولوجي في التواصل اللساني سورة طه نموذجًا . رسالة ماجستير غير منشورة*، تلمسان، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد.

عبد التواب، ر. (1990) . *التطور اللغوي مظاهره، وعِلله، وقوانينه* . (ط2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

نعجة، س. (2015) . التعابير الكنائية في العربية؛ سيرورة وصيرورة . *مجلة علوم اللسان*، الجزائر، 4(1)، 12-57.

References

Adler, A. (1929) .*Practice And Theory Of Individual Psychology*. London: Lund Humphries.

Coulmas, F. (1992). *Language and Economy*. New Jersey: United States.

Freud, S. (1920) .*A General Introduction To Psychoanalysis*. New York: UPENN.

Freud, S. (1918). From the history of an infantile neurosis. SE. *Harmondsworth: Penguin Freud Library*, *17*, 1-124.

Hudson, R.A. (1980) .*Sociolinguistics*. Cambridge.

Jung, C. (1986). *The Dialectic Of The Other In The Psychology*. Paris: Gallimard.

M. Fernández, E., & Cairns, H. (2010). *Fundamentals of Psycholinguistics*. New Jersey, United States.

Slobin, D.I. (1972). *Children and Language*. New York .